دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	السبيل في ضوء القرآن الكريم : دراسة موضوعية
المؤلف الرئيسي:	عبدالله، رهام محمد شعبان
مؤلفين آخرين:	عنبر، محمود هاشم محمود(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2015
موقع:	غزة
الصفحات:	1 - 210
رقم MD:	694503
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	الجامعة الإسلامية (غزة)
الكلية:	كلية اصول الدين
الدولة:	فلسطين
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	القرآن الكريم ، السور و الآيات ، التفسير، الخير و الشر
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/694503

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الفصل الأوّل

أنواع السّبيل في السياق القرآني

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: السّبل المحمودة.

المبحث الثّاني: السّبل المذمومة.

المبحث الثّالث: سبل لا توصف بمدح أو ذم.

المبحث الأوّل: السّبل المحمودة

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأوّل: سبيل الله.

المطلب الثّاني: سبيل الرّسول -ﷺ- والرسل من قبله عليهم السّلام.

المطلب الثّالث: سبيل السّلام.

المطلب الرّابع: السّبيل المستقيم.

المطلب الخامس: سبيل المتوكلين على الله.

المطلب السّادس: سبيل المنيبين إلى الله.

المطلب السّابع: سبيل المؤمنين.

المطلب الثّامن: سبيل الرّشد والرشاد.

المطلب التّاسع: السّبيل المقيم.

المبحث الأوّل: السّبل المحمودة

تتعدّد السّبل المحمودة الواجب اتّباعها في السّياق القرآني لتشمل سبيل الله، وسبيل الرّسول –ﷺ– والرّسل من قبله عليهم السّلام، وسبيل السّلام، والسّبيل المستقيم، وسبيل المتوكّلين على الله، والمنيبين إليه، والمؤمنين، وسبيل الرّشد والرّشاد، والسّبيل المقيم، والتي ستتناولها الباحثة بالتّفصيل خلال المطالب الآتية:

المطلب الأوّل :سبيل الله ﷻ.

إن سبيل الله سبحانه وتعالى هو السّبيل المستقيم الواجب على المسلمين الالتزام به والتمسك به والابتعاد عن كل السّبل الأخرى التّي تفرّق بين المسلمين وتفكك عضدهم فينالوا الخزي في الدّنيا قبل الآخرة وقد أكد الله على سبيله في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (الأنعام:153).

في هذه الآية الكريمة أشار –ﷻ– إلى الصّراط المستقيم الواجب اتّباعه، وبهذا عطف على ما ذكر في السورة كلها، فإنها بأسرها جاءت في إثبات التّوحيد والنبوة وبيان الشريعة[1].

ويأمر الله المؤمنين في هذه الآية بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنّه إنّما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله، فعليهم الالتزام بالإسلام عقائدًا وعبادات وأحكامًا وأخلاقًا وآدابًا، كما تضمنت هذه الآية النهي عن اتّباع غيره من سائر الملل والنحل المعبر عنها بالسّبل، وما دام الأمر بالتزام الإسلام يتضمن النهي عن ترك الإسلام فقد تضمنت الآية تحريمًا ألا وهو ترك الإسلام واتّباع غيره، هذا ما حرم الله تعالى على عباده لا ما حرم المشركون بأهوائهم وتزيين شركائهم، فعند التزام المسلمين الإسلام وترك ما عداه يجعلهم يلتزمون بما وصاهم الله به، وكذلك فيه اتّقاء غضب الرب وعذابه [2].

(1)انظر : "الجامع لأحكام القرآن"–للقرطبي:(7/ 137)، "أنوار التنزيل وأسرار التاويل"–للبيضاوي (189/2)
(2)انظر:"أيسر التفاسير" – للجزائري (142/2)

وقد بين رسولنا الكريم ﷺ سبيل الله الواجب اتّباعه من سبل الشيطان المتعددة الواجب على كل مسلم أن يحذر من الوقوع في شراكه، عن أبي وائل عن عبد الله قال: خط لنا رسول الله –ﷺ– يومًا خطًا فقال: "**هذا سبيل الله**"، ثم خط عن يمين ذلك الخط وعن شماله خطوطًا فقال: "**هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها**" ثم تلا الآية: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(الأنعام153) [1].

إنّه سبيل واحد يؤدي إلى الله، فحينما يفرد الناس الله ﷻ بالربوبية، ويدينوا له وحده بالعبودية ويعلموا أنّ الحاكمية لله وحده و يدينوا لهذه الحاكمية في حياتهم الواقعية، يكونون قد اتبعوا سبيل الله وفازوا بالنجاة.[2]

وقد أوصى الله سبحانه وتعالى في نهاية الآية بالتقوى لأنها هي مناط الاعتقاد والعمل، والتقوى هي التّي تفيء بالقلوب إلى سبيل الله.

ويعدُّ سبيل الله ﷻ من السّبل الواجب على كل إنسان اتّباعه، وقد وضع الله سبحانه وتعالى للدّعاة والنبيﷺ من قبلهم أسس الدّعوة إلى سبيل الله حيث يقول:﴿ **ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ (النحل:125).

ففي هذه الآية الكريمة يرسي القرآن الكريم أسس وقواعد الدّعوة إلى سبيل الله ومبادئها ويعين وسائلها وطرائقها ويرسم المنهج للرسول الكريم –ﷺ– وللدعاة من بعده بدينه القويم، فلننظر في دستور الدّعوة الذي شرعه الله في هذا القرآن.

ففي هذه الآيات يأمر الله رسوله محمدًا–ﷺ–أن يدعو الخلق إلى الله بما أنزله عليه من الكتاب والسنة وبما فيهما من زواجر ووقائع لتذكير الناس بها ليحذروا بأس الله تعالى والتي جعلها الله

(1)مسند أحمد (حديث رقم :4142_4437) صحّحه الألباني.

(2)انظر:"في ظلال القرآن "– لسيد قطب (3/ 1234)

حجّة عليهم في كتابه وذكّرهم بها في تنزيله، وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطّف ولين دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يعظ المسلمون إلى يوم القيامة[1].

والله –ﷻ– هو أعلم بمن حاد عن سبيله وقصد سبيل الضّالين والمضّلين، وهو أعلم بمن كان منهم سالكًا صد السّبيل ومحجة الحقّ، وهو مجازٍ إياهم جزاءهم عند ورودهم عليه[2].

وقد ذكر فخر الدّين الرازي هذه الآية فقال:"واعلم أنّه تعالى أمر رسوله أن يدعو الناس بأحد هذه الطّرق الثلاثة وهي الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالطرق الأحسن، وقد ذكر الله تعالى هذا الجدل في آية أخرى فقال : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت:46)، ولما ذكر الله تعالى هذه الطّرق الثلاثة وعطف بعضها على بعض، وجب أن تكون طرقًا متغايرة متباينة"[3].

وقد ذكر الجزائري بعض الهدايات التّي تستنبط من الآية وهي :

1–" وجوب الدّعوة إلى سبيل الله تعالى أي إلى دين الإسلام وهو واجب كفائى، إذا قامت به جماعة أجزأ ذلك عنهم.

2– بيان أسلوب الدّعوة إلى سبيل الله وهو أن يكون بالكتاب والسنة وأن يكون خاليًا من العنف والغلظة والشّدّة، وأن تكون المجادلة بالتي هي أحسن من غيرها.

3–معيّة الله تعالى ثابتة لأهل التقوى والإحسان الداعين إلى سبيله، وهي معيّة نصرٍ وتأييد وتسديد."[4]

فمن خلال ما سبق يتضح لنا سبيل الله –ﷻ–، وهو سبيل واحد غير متعدّد ولا متفرّع، وهذا السّبيل هو السّبيل المؤدّي إلى الجنّة والواقي من غضب الله ومن عذابه، فعلى كل مسلم يؤمن بالله

---

(1)انظر :"جامع البيان"–للطبري (321/17)، "الجامع لأحكام القرآن"–للقرطبي(200/10)، "تفسيرالقرآن العظيم"–لابن كثير (613/4).

(2)انظر:"جامع البيان"– للطبري (322/17).

(3)"التفسير الكبير"– (286/20).

(4)"أيسر التفاسير"– (171/3).

عزَّ وجلَّ ربًا و بالرسول –ﷺ– نبيًا أن يتبع هذا السّبيل ولا يحيد عنه أبدًا مهما كانت الظروف والأحوال ومهما اشتدت الأزمات والصعاب.

المطلب الثّاني :سبيل الرّسول–ﷺ– والرسل من قبله عليهم السّلام.

يعدُّ سبيل الرّسول محمد –ﷺ–والرسل من قبله عليهم السلام من السّبل االمحمودة لأنها قامت من أجل هدف واحد وهو الدّعوة إلى عبادة الله وحده وتنزيهه سبحانه عن كل مالا يليق به ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف:108).

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد –ﷺ– : قل يا محمد يا أعلى الخلق وأصفاهم وأعظمهم نصحًا وأخلاقًا أن هذه الدّعوة التّي أدعو إليها وهي شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له والطريقة التّي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان والانتهاء إلى طاعته وترك معصيته هي سبيلي وطريقتي ودعوتي التّي أدعو بها إلى الله وحده لا شريك له وهذه هي سنتي ومنهاجي التّي تؤدي إلى الجنّة وهي القريبة المأخذ، الجلية الأمر الجليلة الشأن الواسطة الواضحة جدًا، وأنا على يقين وحق بمن أدعو إليه وبما أدعو إليه وبالنتائج المترتبة على هذه الدّعوة وكذلك المؤمنين الداعين إلى الله، ويدعون إلى الله على بصيرة كما دعا الرّسول ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي و أدلة ناصعة وبراهين ساطعة وترك التقليد الدال على الجمود، لأن البصيرة هي المعرفة التّي يتميز بها الحقّ من الباطل دينًا ودنيا بحيث يكون كأنه يبصر المعنى بالعين[1].

وكذلك ينزه الرّسول ﷺ في دعوته الله سبحانه ويجله ويعظمه ويقدسه عن أن يكون له شريك أو نظير أو عديل أو نديد أو ولد أو والد أو صاحبة، أو وزير أو مشير، تبارك وتعالى وتقدس وتنزه عن ذلك كله علوًا كبيرًا، قال تعالى : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّه كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (الإسراء:44) [2].

---

(1)انظر: "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"–للبقاعي(242/10).

(2)انظر: "جامع البيان"–للطبري(291/16)،"الجامع لأحكام القرآن"–للقرطبي (274/9)، "تفسيرالقرآن العظيم"–لابن كثير (422/4) .

ومن الآيات التّي توضح مسار سبل الأنبياء السابقين وصبرهم على إيذاء أقوامهم وحسن توكلهم على الله قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم:12).

في هذه الآية يبين الله عزَّوجلَّ ما قاله الأنبياء السابقون لأممهم الذّين بعثوا اليهم وهو قولهم ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ ﴾ أي وما يمنعنا من أن نتوكل على الله سبحانه وقد هدانا إلى أقوم السّبل والطرق وأوضحها وأبينها لطريق الحقّ[1]، ويتبين لنا من خلال هذا الطّريق طريق النجاة من عذابه والطريق الواجب علينا سلوكه في الدّين حتّى ننال رضا الله -ﷻ- ونبتعد عن سخطه ونقمه، ولنصبرن على تكذيبكم لنا وقتلكم لنا وللمؤمنين وعلى إهانتكم وضربكم لنا بسبب دعائنا لكم إلى ما ندعوكم إليه من البراءة من الأوثان والأصنام وإخلاص العبادة له فإن "الحقّ لابد أن يكون غالبًا قاهرًا، والباطل لابد أن يصير مغلوبًا مقهورًا"[2].

وإن المؤمن الحقّ والصادق في إيمانه لا يتوكل إلا على الله -ﷻ- فالمؤمن يتوكل على خالقه وهو واثق به فأما من كان كافرًا به فإن وليه الشيطان، وهذا هو طريق السّلام وسبيل الخيرالواجب اتّباعه.

وقد ذكر الجزائري بعض الهدايات التّي تستنبط من الآية يحسن ذكرها في هذا المقام وهي:

1-" بطلان الشكّ في وجود الله وعلمه وقدرته وحكمته ووجوب عبادته وحده وذلك لكثرة الأدلة وقوة الحجج، وسطوع البراهين.

2- بيان ما كان أهل الكفر يقابلون به رسل الله والدعاة إليه سبحانه وتعالى وما كانت الرّسل ترد به عليهم.

3- وجوب التوكل على الله تعالى، وعدم صحة التوكل على غيره إذ لا كافي إلا الله" [3].

---

(1)انظر:"الكشاف"للزمخشري(544/20)،"التفسيرالكبير"-للرازي(75/19)،أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل البيضاوي(195/3).
(2)"التفسير الكبير": للرازي(75/19)
(3)"أيسر التفاسير" : (3/ 48-47)

ومن الآيات التّي توضح ندم الطغاة الذّين فارقوا سبيل الرّسول ﷺ وما جاء به من عند الله من الحقّ المبين الذي لا مرية فيه وسلك طرقًا أخرى غير سبيل الرّسول ﷺ قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾(الفرقان:27).

وقد قيل في سبب نزولها أنّها نزلت في عقبة بن أبي معيط حيث كان خليلًا لأبي بن خلف، فأسلم عقبة، فقال أميّة: وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمدًا، فكفر وارتدّ لرضى أميّة فأنزل الله فيهما هذه الآية، فقتل عقبة يوم بدر، وأما أبيّ بن خلف فقتله النبي ﷺ بيده يوم أحد في القتال[1].

وفي هذه الآية الكريمة يوضح تعالى حال المشرك الكافر يوم القيامة، وهو يوم عسير شديد، وهو يعض على يديه ندمًا وأسفًا على ما فرط في جنب الله، وأوبق نفسه بالكفر في طاعة خليله الذي صده عن سبيل ربّه وسبيل رسوله، ويقول يا ليتني اتخذت في الدّنيا مع الرّسول سبيلًا يعني طريقًا إلى النجاة من هول هذا اليوم من عذاب الله، وذلك بالإيمان والتقوى ولكن لا ينفع الندم[2].

وهكذا يندم أهل الباطل على باطلهم ندمًا يعضون معه أياديهم أنهم سلكوا سبيل الشيطان وتركوا سبيل الرّسل التّي خطَّها لهم وارتضاها الرّحمن، فأنَّى لهم النجاة بعد فوات الأوان وأنَّى لهم التوبة بعد أن نشرت الصحف ووضع الميزان.

المطلب الثّالث: سبيل السّلام.

سبيل السّلام هو سبيل الهداية، وأهل التقوى الذّين هداهم الله إلى صراطه المستقيم بعد أن أخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه حيث يؤكد الله –ﷻ– على هذا السّبيل بقوله: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة:16).

(1)انظر: "أسباب النزول" – للواحدي (344/1).

(2)انظر:"جامع البيان"– للطبري(262/19)، "الجامع لأحكام القرآن الكريم"–للقرطبي(26/13)، "تفسير القرآن العظيم"– لابن كثير(108/6)، "أيسر التفاسير"–للجزائري(611/3).

يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن الطّريق التّي ارتضاها لعباده هي طريق السلامة الموصلة إلى دار السّلام وهي الجنّة وما فيها من نعيم وخيرات المنزهة عن كل آفة، والمؤمنة من كل مخافة[1].

يقول الإمام الطبري في هذا الموضع: "تحبيبه إياه الإيمان برفع طابع الكفر عن قلبه وخاتم الشرك عنه، وتوفيقه لإبصار سبل السّلام"[2].

وهذه الطّريق التّي اختارها الله لعباده المؤمنين هي طريق الإسلام الذي يخرج الناس من الظلمات الكفرية إلى النور الإسلامي ويهديهم إلى صراط مستقيم وإلى طريق يتوصلون بها إلى الحقّ وهو دين الله القويم الذي لا عوج فيه ولا مخافة، ويكون ذلك بإذن من الله عزَّ وجل [3].

فهذه هي الثّمرات التّي ترجى من الرسالة الإلهية إلى أهل الأرض وكونها نورًا يهتدي به السائر وفيه شريعة قائمة في كتاب محفوظ إلى يوم القيامة، وهذه الثمرات ثلاث أوّلها هداية إلى الحقّ وثانيها إخراج من الظلمات إلى النور وثالثها هداية إلى صراط مستقيم.

فالهداية إلى الحقّ وإلى سبيل السّلام تكون بالقرآن الكريم الذي هو وعاء الشريعة وحجة النبي ﷺ القائمة إلى يوم القيامة، وقد ذكر سبحانه أن من يهتدي به لا بدّ أن يكون فيه عقل يدرك لم تظله غشاوة رانت عليه، وبصيرة نافذة وقلب قد استقام لطلب الحكمة، فهذا هو الذي اتَّبع رضوان الله واتَّبع سبيل السّلام، وهو الذي اتجه اتجاهًا مستقيمًا إلى الحقّ لا يبغي سواه، ولا يطلب إلا رضوان الله تبارك وتعالى، فإن الإخلاص يجعل العقل يشرق والقلب يمتليء بالحكمة، ولا بدّ أن يكون الذي يهتدي به هو هذا السّبيل لاغيره، فسبيل السّلام هو سبيل الصفاء وعدم وجود البغضاء، فالسلام هو السلامة من كل أضرار الحقّد والحسد والسلامة من كل ما يؤدي إلى البغضاء والعداوة، والسّبل الموصلة إلى سبيل السّلام هي الأعمال الصالحة، فيعمل في الدّنيا بأخلاق مستقيمة ونفس لا يخالطها فساد ولا تستولي عليه الشهوات، فيكون مع الناس في أمن وسلام، وفي الآخرة يكون في دار السّلام كما قال تعالى:

---

(1)انظر: "جامع البيان"- للطبري (145/10)،"الجامع لأحكام القرآن"- للقرطبي (118/6)، "تفسيرالقرآن العظيم"- لابن كثير (68/3)، "فتح القدير"-للشوكاني (28/2)، "التحرير والتنوير"- لابن عاشور (151/6)

(2)"جامع البيان" - (154/10)

(3)انظر : "فتح القدير"-للشوكاني (28/2)

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلام عِندَ رَبِّهم وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(الأنعام:127) فمن فعل ذلك فقد اهتدى إلى طريق مستقيم لا التواء فيه، والهداية في الحقّيقة من الله تعالى فهو الذي يهدي ويرشد، والمهتدي هو من يطلب الحقّ ارضاءً لله تعالى، فالمتبع لهذا الدّين القيم دين التوحيد دين الإسلام والتسليم والتفويض لله تعالى بعد القيام بالعمل، وهو دين الخير في الدّنيا والآخرة، فمن اتَّبعه فقد رشد ومن تركه فقد ضل[1].

"وما أدقّ هذا التعبير وأصدقه أنّه «السّلام» هو ما يسكبه هذا الدّين في الحياة كلها، سلام الفرد، وسلام الجماعة، وسلام العالم، سلام الضمير، وسلام العقل، وسلام الجوارح، سلام البيت والأسرة، وسلام المجتمع والأمة، وسلام البشر والإنسانية، السّلام مع الحياة، والسلام مع الكون، والسلام مع الله ربّ الكون والحياة، السّلام الذي لا تجده البشرية– ولم تجده يومًا– إلا في هذا الدّين وإلا في منهجه ونظامه وشريعته، ومجتمعه الذي يقوم على عقيدته وشريعته.

حقًا إن الله يهدي بهذا الدّين الذي رضيه، من يتّبع رضوان الله، سبل السّلام كلها في هذه الجوانب جميعها، ولا يدرك عمق هذه الحقّيقة كما يدركها من ذاق سبل الحرب في الجاهليات القديمة أو الحديثة، ولا يدرك عمق هذه الحقّيقة كما يدركها من ذاق حرب القلق الناشئ من عقائد الجاهلية في أعماق الضمير، وحرب القلق الناشئ من شرائع الجاهلية وأنظمتها وتخبطها في أوضاع الحياة" [2].

فهذا هو سبيل الله سبيل السّلام سبيل الحقّ والخير، فعلى كل عاقل أن يتَّبع هذا السّبيل وألَّا يحيد عنه، فهو سبيل السعادة في الدّنيا، وهو الطّريق الموصل إلى مرضاة الله ليحقق العبد من خلاله الفوز والنَّجاة في الآخرة وليرتقيَ إلى مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدرٍ أعَّده الله لعباده الصّالحين.

المطلب الرّابع : السّبيل المستقيم.

يعدُّ سبيل الله المستقيم من السّبل الهامة الدالة على الله– ﷻ– وعلى دينه وشرعه ومنهاجه والدالة على طريقه المستقيم طريق الجنّة وطريق الأمان والسعادة الابدّية ومن الآيات التّي تبيّن هذا السّبيل وتدعو له قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام:153).

(1)انظر: " الكشف والبيان عن تفسير القرآن" – للثّعلبي (39/4)،"زهرة التفاسير"– لأبي زهرة (4/ 2091).
(2)"في ظلال القرآن"– لسيد قطب (2/ 862)

يبين سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة السّبيل المستقيم الذي لا عوج فيه، فطريق الله تعالى وسبيله مستقيم والمستقيم دائمًا أقرب طريق إلى الحقّ، والسّبيل المستقيم الذي هو صراط الله والذي هو الخط الذي بينه سبحانه وتعالى لعباده يجيء بجواره سبل مختلفة هي مثارات الشيطان ليضل بها عباد الله تعالى عن الطريقة المثلى والمنهاج السوي الهادي[1].

"فعن ابن مسعود –ﷺ– قال: خطّ رسول الله –ﷺ– خطًا بيده ثم قال –ﷺ– : (هذا سبيل مستقيم) وخط عن يمينه خطوطًا وعن شماله خطوطًا ثم قال :(هذه السّبل ليس فيها سبيل إلا على رأسه شيطان يدعو إليه) ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السّبل فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ. . . .الآية﴾ "[2].

فقد أمر الله –ﷻ– باتّباع ما ذكر من الصّراط المستقيم ونهى عن اتّباع السّبل الأخرى ؛ لأن غيره من الأديان المختلفة والأهواء المتشتتة لا حجّة لها ولا برهان، وما ذكر من الصّراط المستقيم هو حجّة وبرهان.

والإشارة (بهذا) هي إلى الشرعِ الذي جَاءَ به نبيّنا محمّد –ﷺ –، حيث يقول ابن عطية: "الإشارة هي إلى هذه الوصايا التّي تقدَّمت مِنْ قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحق ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام:151)، وقال ابن مسعود –ﷺ–: إنَ اللَّه سبحانه جَعَلَ طريقه صراطًا مستقيمًا طَرَفُه محمّد –ﷺ– وشرعه، ونهايتُه الجنّة، وتتشعَّب منه طُرُقٌ، فمن سَلَك الجادَّة نجا، ومن خَرَج إلى تلْكَ الطّرق أفْضَتْ به إلى النَّار "[3].

ويبين سبحانه وتعالى كذلك أن على كل مسلم أن يتذكر ويتعظ ويحذر من بطش الله، فصراط الله موصل إلى توحيده، وصراطه مستقيمٌ سويٌ بلا ميلٍ ولا اعوجاجٍ فمن اتّبعه فقد فاز ونجا ومن حاد عنه واتبع السّبل المتفرقة والطرق المختلفة المنحرفة المعوجة فإنها سوف تفرقكم وتضلكم عن سبيل الله

---

(1)انظر : "جامع البيان" – للطبري (396/5) ، "زهرة التفاسير" –لأبي زهرة (2714/5) .

(2)سبق تخريجه ص29.

(3)"المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" (2/:263 ،264).

وعن سبيل توحيده فلا تتبعوا كل ما يوصلكم لهذه السّبل الفاسدة من آراء باطلة وأهواء فاسدة والتي تضلكم عن سبيل الحقّ والتوحيد. [1]

ويتحدّث الألوسي عن السّبيل المستقيم فيقول:

"سبيل الله تعالى الذي لا اعوجاج فيه ولا حرج هو دين الإسلام، وقيل: هو اتّباع الوحي واقتفاء البرهان، وفيه تنبيه على أن صراطه –عليه السلام– عين سبيل الله تعالى " [2]

ويذكر أيضًا: "ولما كان الصّراط المستقيم هو الجامع للتكاليف وأمر سبحانه باتّباعه ونهى عن اتّباع غيره من الطّرق ختم ذلك بالتقوى التّي هي اتّقاء النار إذ من اتبع صراطه نجا النجاة الأبدّية وحصل على السعادة السرمدية، وكرر سبحانه الوصية لمزيد التأكيد ويا لها من وصية ما أعظم شأنها، وأوضح برهانها." [3]

حقًا إنّه سبيل مستقيم فيه هدى للناس ونور يوصلهم إلى الجنان ويبعدهم عن النيران فإن استقام الإنسان واتبع السّبيل المستقيم فقد فاز في الدارين وإن حاد عن السّبيل المستقيم إلى سبيل الشيطان فقد خاب وخسر في الدّنيا والآخرة.

المطلب الخامس : سبيل المتوكلين على الله.

يعدُّ سبيل المتوكلين على الله من السّبل الواضحة المبينة والمميزة للإنسان المؤمن عن غيره، وخصوصًا في وقت الشدائد والمصاعب، ففي هذه الأوقات يظهر الإيمان الكامن في القلب ويخرج، ويثبّت الله سبحانه وتعالى المتوكّلين عليه وينصرهم على أعدائه لأن من عرف الله في الرّخاء عرفه الله في الشّدّة، ومن الآيات التّي تؤكّد على هذا السّبيل قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾(إبراهيم:12).

يبيّن سبحانه وتعالى في هذه الآية ما حصل مع الأنبياء السابقين وأممهم الذّين بعثوا لهم، وما كان ردهم عليهم إلا أن قالوا في أي شيء نترك التّوكّل على الله وقد بصرنا طريق النجاة من عذابه

(1)انظر: "معاني القرآن"– للفراء (366/1) ,

(2)"روح المعاني" – (300/4) .

(3) المرجع السّابق.

وطريق الفوز بجنّته، وبصرنا طريق الحقّ وهو الإسلام وقد أفاض علينا من جميل الإحسان، وأي شيء لنا في ألا نتوكّل عليه وقد عرفنا أنّه لا ينال شيء بجهد إلا بعد أن يقضيه الله تعالى ويقدّره [1].

وقد هدانا –ﷻ– سبيل الحياة الصالحة التّي جعلتنا نؤمن بأن الحياة الدّنيا طريق الآخرة، وأن الحياة الآخرة هي الحياة الحقّيقية الباقية، أما الحياة الدّنيا فهي فانية زائلة، ومن خلال هذا السّبيل آمنا بالله وعرفنا طريق الحقّ وطريق الباطل، ومن خلاله عرفنا بطلان عبادة الأوثان، وأنه لا قوة في الوجود إلا قوته –ﷻ–، ويجب أن يكون هذا السّبيل هو المطلب والغاية التّي نبتغيها، فإذا ما اعتمد هؤلاء المؤمنون هذا السّبيل واتخذوه سبيلًا لهم فإنهم يكونون معتمدين على الله، وهم الصّابرون على كل ما يقدمه هؤلاء الكفار من إيذاء متوال مستمر، فإن على أهل الحقّ أن يصبروا على أذى هؤلاء المبطلين.

وقد أكد الرّسل والمؤمنون اعتزامهم الصبر حتّى يبلغوا رسالات ربّهم وأنهم أمام هؤلاء المتعنّتين لابدّ لهم من اعتماد على القوي القادر القهّار، فيتوكلوا عليه مع اتخاذ الأسباب وعدم تركها[2].

"وعندما يحسّ القلب أن يد الله سبحانه وتعالى تقود خطاه وتهديه السّبيل وأنه موصول به، لا يخطيء الشعور بوجوده سبحانه وألوهيته القاهرة المسيطرة، وهو شعور لا مجال معه للتردد في المضي في الطّريق أيًّا كانت العقبات في هذا الطّريق، وأيًّا كانت قوى الطّاغوت التّي تتربّص فيه.

وهذه الحقّيقة لا تستشعرها إلا القلوب التّي تزاول الحركة فعلًا في مواجهة طاغوت الجاهلية، والتي تستشعر في أعماقها يد الله –ﷻ– وهي تفتح لها كوى النّور[3] فتبصر الآفاق المشرقة، وتستروح أنسام الإيمان والمعرفة، وتحس الألفة والقربة، وحينئذ لا تهتم بما يتوعدها به طواغيت الأرض ولا تملك أن تستجيب للإغراء ولا للتهديد، وهي تحتقر طواغيت الأرض وما في أيديهم من وسائل البطش والتنكيل"[4].

---

(1)انظر : "الهداية إلى بلوغ النهاية" – لمكي بن أبي طالب (3786/5) .

(2)انظر : "تفسير القرآن" – للسمعاني (1180/3) .

(3)الكوى جمع كُوَّةُ:ومعناها الثقب والفتحة (وكوى النّور :ثقب النّور)("منجد الطّلاب" – لفؤاد البستاني (662)).

(4)"في ظلال القرآن" – لسيد قطب (2092/4).

ومن خلال هذه الآية يتبيّن لنا أن الرّسل عليهم السّلام كانوا يربطون بين شعورهم بهداية الله لهم وتوكلهم على الله في مواجهة التهديد السافر من الطّواغيث، ومن ثمّ إصرارهم على المضي في طريقهم رغم كل التهديدات الموجهة لهم، حيث صبروا ولم يضعفوا أو يتراجعوا أو يشكّوا في نصر الله لهم.

فهم على يقين بما يدعون إليه، وعلى يقين بأن الباطل لابدّ وأن يصير مغلوبًا مقهورًا، وأن الحقّ لابدّ وأن يصير غالبًا قاهرًا. [1]

ويذكر المراغي: "أن على كل مؤمن متوكل على الله أن يثبت ذلك ويتحمل كل أذى في سبيله، ولا يبالي بما يصيبه من أذى، ولا بما يلاقي من ساعات وعقبات وليصبر على أذى الناس كما صبر الأنبياء وأوذوا، فالهداة ما خلقوا إلا ليعملوا فهم هداة بطباعهم ولذاتهم في قلوبهم، ومنهم تنتقل إلى الناس"[2].

هذا هو سبيل المتوكلين على الله، سبيل يفرق بين الحقّ والباطل والصّحيح والسقيم، فيجب على كل إنسان مؤمن بالله ألا يتوكل إلا عليه سبحانه ولا يلجأ إلا إليه، فهو المعين والناصر، ولا مثيل له، وصدق الله حيث قال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(الشورى:11)، فهو -ﷻ- كافينا وناصرنا وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المطلب السّادس : سبيل المنيبين إلى الله.

إنَّ سبيل الراجعين إلى الله عزَّ وجلَّ والمنيبين إليه هو سبيل الخير والصَّلاح وهو سبيل المؤمنين الموحدين والمخلصين له، وقد حثّ الإسلام الإنسان المؤمن على التزام طاعة الله -ﷻ- وعدم البعد عن تعاليم دينه، كما حثّ على الاقتداء بالرسول -ﷺ- وبصحبه الكرام، وعدم الانقياد للأهواء والشهوات مهما كانت المغريات، فمن سار على هذا الطّريق فقد التزم سبيل الله المحمود الواضح الموافق للفطرة السليمة ومن الآيات التّي تحث على اتّباع هذا السّبيل والتمسك به قوله تعالى:

---

(1)انظر: "جامع البيان" – للطبري (539/16).

(2)"تفسير المراغي" – (126/13) .

﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدّنيا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (لقمان: 15).

سبب نزول الآية:

ذكر الواحدي في كتابه سبب نزول هذه الآية حيث قال:

" نَزَلَتْ فِي سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ –ﷺ–، وَذَلِكَ أنّه لَمَّا أَسْلَمَ قَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: يَا سَعْدُ، بَلَغَنِي أنك صبوت، فو اللَّه لَا يُظِلُّنِي سَقْفُ بَيْتٍ، وَلَا آكُلُ وَلَا أَشْرَبُ حتّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ وَتَرْجِعَ إلى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ، وَكَانَ أَحَبَّ وَلَدِهَا إِلَيْهَا، فأبى سعد، وصبرت هِيَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَمْ تَأْكُلْ وَلَمْ تَشْرَبْ وَلَمْ تَسْتَظِلَّ بظل حتّى خُشي عَلَيْهَا، فَأَتَى سعد النبيَّ –ﷺ–، وَشَكَا ذَلِكَ إليه. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ"[1].

في هذه الآية الكريمة يخاطب الله المؤمنين بقوله وإنْ جاهداك أيّها الإنسان المؤمن والداك وبذلا جهدهما في حملك على أن تشرك بي وحرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما وتشرك بالله فلا تطعهما فيما أراداك عليه من الشرك بي، فطاعة الوالدين لا تراعى في ركوب كبيرة ولا في ترك فريضة على الأعيان، وتلزم طاعتهما في المباحات ولكنه لا يسقط حق الوالدين في المعاملة الطيبة والصحبة الكريمة ويوجهه إلى أن يبقى محسنًا لهما وبارًا بهما ويكون ذلك بالصلة والعشرة الجميلة ولكن في غير معصية الله تعالى ورسوله –ﷺ–، ومن صور الإحسان إليهما أن تعودهما إذا مرضا وتواسيهما إذا افتقرا وتشيعهما إذا ماتا. [2]

وقد أكد الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة على صحبتهما في الدّنيا وإن كانا مشركين، للإشارة إلى الرفق بهما في الأمور الدنيوية دون الدينية.[3]

([1]) "أسباب النزول" – (351/1)

([2]) انظر: "معالم التنزيل في تفسير القرآن"– للبغوي (588/3) ، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" – لابن عطية (349/4)، "تفسير القرآن" – للعز بن عبد السّلام (539/2)، "تفسير القرآن العظيم" –لابن كثير (337/6) .

(3)انظر: "روح المعاني" – للألوسي (86/11)

وعلى المؤمن اتّباع طريق المؤمنين الموحدين بالله والعابدين له والداعين إليه ولرسوله – ﷺ–، فمرجع جميع الخلق إلى الله يوم القيامة وهو يجزيهم بعملهم الخير بالخير والشر بالشر فاتقوا الله بطاعته وتوحيده والإنابة إليه في كل الأمور[1].

ويذكر سيد قطب ما تدل عليه هذه الآية ويقول : "أما مدلولها فهو عام في كل حال مماثلة، وهو يرتب الوشائج والروابط كما يرتب الواجبات والتكاليف، فتجيء الرابطة في الله هي الوشيجة الأولى ويجيء التكليف بحق الله هو الواجب الأوّل، والقرآن الكريم يقرر هذه القاعدة ويؤكدها في كل مناسبة وفى صور شتى لتستقر في وجدان المؤمن واضحة حاسمة لا شبهة فيها ولا غموض"[2].

ومن الأحكام المستفادة من هذه الآية :

- "وجوب طاعة الوالدين وبرهما وصلتهما.
- تقرير مبدأ أنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.
- أن طاعة الوالدين لا تكون إلا في معروف.
- وجوب اتّباع سبيل المؤمنين من أهل السنة والجماعة وحرمة اتّباع سبيل أهل البدع والضلالة".[3]

هذا هو سبيل المنيبين إلى الله الراجعين إليه، الراجين لثوابه، والطامعين في مغفرته، والراجين البعد عن غضبه وسخطه، فعلى كل مؤمن أن يتوب إلى الله ولا يتبع أصحاب الأهواء والشهوات، وألا يطيع أحدًا في معصية، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

المطلب السّابع : سبيل المؤمنين.

يعدُّ سبيل المؤمنين من السّبل المحمودة الواجب على كل إنسان اتّباعها باعتبارها امتدادًا لسبيل الله –ﷻ– والدعوة إليه سبحانه وحده لا شريك له وكذلك امتداد لسبيل الرّسول –ﷺ– والصحابة الكرام –رضي الله عنهم– والتابعين وأتباع التابعين من بعدهم وقد أكَّد سبحانه وتعالى على اتّباع هذا السّبيل وحذَّرَ من اتّباع غيره من السّبل الضالة المضلة وذلك في قوله تعالى :

---

(1) انظر:"أيسر التفاسير" – للجزائري (209/4)

(2) "في ظلال القرآن" – (5 /2789).

(3) "أيسر التفاسير" – للجزائري (206/4).

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسول مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء :115).

"وقد نزلت هذه الآية في الخائنين الذّين ذكرهم الله في قوله:﴿ ...وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ (النساء:105)، لما أبى التوبة من أبى منهم، وهو طعمة بن الأبيرق، ولحق بالمشركين من عبدة الأوثان بمكة مرتدًّا، مفارقًا لرسول الله –ﷺ– ودينه" [1].

ويوضح سبحانه وتعالى في سورة النساء أنَّ من يشاقق الرّسول محمدًا – ﷺ – ويباينه ويخالفه في التوحيد والإيمان ويكون معاديًا له ويفارقه على العداوة له ولأصحابه ولجميع المسلمين و يكون ذلك عن عمد ومن بعد ما وضح له الدليل وبانت له الحدود وظهر له صدق الرّسول – ﷺ – وصحة ما جاء به فكل ما جاء به من عند الله يهدي إلى الحقّ وإلى الطّريق المستقيم وتأكد من صحة الإسلام والتوحيد، فهذا الإنسان الذي ابتعد عن الطّريق الحقّ واتبع طريقًا غير طريق أهل التصديق وسلك منهاجًا غير منهاجهم فذلك هو الكفر بالله لأن الكفر بالله وبرسوله–ﷺ– واتّباع غير سبيل المؤمنين وغير منهاجهم فكأنه صار في شقّ والشريعة في شقّ آخر [2].

فمصير هذا الإنسان إذا سلك هذه الطّريق جازيناه على ذلك، بأن نحسنها في صدره ونزينها له –استدراجًا له – فيجعله الله واليًا لما تولى من الضلال ويدعه وما اختار في الدّنيا كما قال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (القلم: 44)، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ (الصف:5)، وقوله ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(الأنعام: 110).

ونجعل النار مصيره في الآخرة، ونجعل ناصره ما استنصره وما استعان به من الأوثان والأصنام، وهي لا تغنيه ولا تدفع عنه من عذاب الله شيئًا، ولا تنفعه ، لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا إلى النار يوم القيامة ، كما قال تعالى: ﴿احشروا الذّين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون.

(1) "المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة" – للواحدي (438/1).

(2) انظر : "جامع البيان" – للطبري (204/9–205) ، "أحكام القرآن" – للجصاص (268/3) ، "بحر العلوم" – للسمرقندي (336/1) ، "التسهيل لعلوم التنزيل" – لابن جزي (209/1) .

من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ (الصافات: 22، 23). وقال: ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا﴾ (الكهف:53) [1].

وذكر الخازن وغيره حكم اتّباع سبيل المؤمنين يحسن ذكره في هذا المقام حيث قال :

"روي أن الشافعي سئل عن آية من كتاب الله تدل على أن الإجماع حجّة فقرأ القرآن ثلاثمائة مرة حتّى استخرج هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك لأن اتّباع غير سبيل المؤمنين وهي مفارقة الجماعة حرام فوجب أن يكون اتّباع سبيل المؤمنين ولزوم جماعتهم واجبًا وذلك لأن الله تعالى الحقّ الوعيد بمن يشاقق الرّسول ويتبع غير سبيل المؤمنين فثبت بهذا أن إجماع الأمة حجّة"[2].

وفي هذه الآية الكريمة بيان لسنة الله في عمل الإنسان، وإيضاح لما أوتيه من الإرادة والاستقلال والعمل بالاختيار، فالوجهة التّي يتولاها ويختارها لنفسه يوليه الله إياها: أي يجعله واليًا لها وسائرًا على طريقها، فلا يجد من القدرة الإلهية ما يجبره على ترك ما اختار لنفسه بحسب الاستعداد والإدراك وعمل ما يرى أنّه خير له وأنفع في عاجله أو آجله أو فيهما معا، ثم يدخله جهنم ويعذبه أشد العذاب، لأنه استحب العمى على الهدى وعاند الحقّ واتبع الهوى، وما أقبحها من عاقبة لمن تفكر وتدبر [3]!

هذا هو سبيل المؤمنين، سبيل يستحق الاتّباع، فهو اتّباع للنهج القويم ولسنة الحبيب -ﷺ-، وسير على طريق الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، فمن اتبعه فقد فاز فوزًا عظيمًا أبدًا سرمدًا.

---

(1) انظر : "جامع البيان" – للطبري (205/9) ،"تفسير القرآن العظيم" – لابن كثير (2/ 413)

(2) "لباب التأويل في معاني التنزيل" – (1/ 427)

(3) انظر : "جامع البيان" –للطبري (205/9) ، "معالم التنزيل في تفسير القرآن" – للبغوي (702/1)،" تفسير المراغي "– للمراغي (5/ 155).

المطلب الثّامن: سبيل الرّشد والرّشاد.

أكّد الله -ﷻ- على سبيل الرّشد والرشاد في أكثر من موضع في كتابه العزيز، ودعا إلى اتّباع هذا السّبيل، الذي يعدُّ من السّبل المحمودة التّي تقي الإنسان المتبع لهذا السّبيل من غضب الله وسخطه، ومن حرّ جهنّم وبئس المصير وتوصله إلى مرضاته سبحانه وتعالى ومن الآيات التّي تتحدّث عن هذا السّبيل قوله تعالي:

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الذِّين يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرض بِغَيْرِ الحقّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرّشد لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذِلَكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (الأعراف :146).

يخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أنّه سيصرف عن آياته، وهى أدلته وأعلامه على حقيقة ما أمر به عباده، وفرض عليهم من طاعته في توحيده وعدله، وغير ذلك من فرائضه التّي فرضها على المؤمنين، ومن آياته سبحانه السماوات والأرض وكل موجود من خلق الله، وسوف يصرف الله سبحانه عن قبول آياته والتصديق بها هؤلاء المتكبرين في الأرض بغير الحقّ، وهم الذّين حقت عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون، فهم عن فهم جميع آياته والاعتبار والادكار بها مصروفون، وأنهم كانوا إن يروا كل حجّة لا يصدقوا بها ويقولون: هي سحر وكذب فبسبب ذلك التكبر والتجبر، فقد طبع الله على قلوبهم بحيث لا يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها [1].

ويصف سبحانه هؤلاء المتكبرين أنهم إن يروا طريق الهدى والسداد والصلاح الذي جاء من الله -ﷻ- والذي إن سلكوه نجوا من الهلكة والعطب وصاروا إلى نعيم الأبد لا يتخذوا هذا السّبيل وهذا الطّريق دينًا ولا يسلكوا هذا الطّريق، بالمقابل وصفهم بأنّهم إن يروا سبيل الشيطان وطريق الهلاك الذى إن سلكوه ضلوا وهلكوا فيتخذوا هذا الطّريق مسلكًا لأنفسهم فصرف الله إياهم عن آياته وطبعه على قلوبهم فلا يفلحون ولا ينجحون عقوبة لهم لجحدهم وتكذيبهم لآيات الله والأدلة الشاهدة على حقيقة ما أمر الله به ونهى عنه، وكانوا عنها غافلين وغير ناظرين فيها ولا معتبرين بها، ولا يعلمون شيئا مما فيها خيرًا[2].

---

(1) انظر: "الهداية إلى بلوغ النهاية" – لمكي بن أبي طالب (2556/4) ، "تفسير القرآن" – للسمعاني (215/2) .

(2) انظر: "معاني القرآن" –الزجاج (376/2) ، "معالم التنزيل في تفسير القرآن" – للبغوي (234/2) .

وقد ذكر الجزائري بعض الهدايات المهمة لهذه الآية منها:

1. "بيان سنة الله تعالى في صرف العباد عن آيات الله حتّى هلكوا كما هلك فرعون وقومه.
2. الكبر من أقوى عوامل الصرف عن آيات الله.
3. التكذيب بآيات الله والغفلة عنها هما سبب كل ضلال وشر وظلم وفساد.
4. بطلان كل عمل لم يسلك فيه صاحبه سبيل الرّشد، التّي هي سبيل الله التّي تحدد الآيات القرآنية وتبين معالمها وترفع أعلامها"[1].

ومن الآيات التّي توضح دعوة الكافرين الناس لسبلهم الفاسدة وادعائهم أنها من السّبل المحمودة وتضليلهم عليهم سبيل الرّشد والرشاد وإبعادهم عنه قوله تعالى :﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (غافر:29)

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قول المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه حيث قال: يا قوم لكم السلطان اليوم والملك ظاهرين على بني اسرائيل في أرض مصر فلا تفسدوا على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فإنه لا قبل لكم به إن جاءكم ولا يمنعكم منه أحد.

بالمقابل يعرض سبحانه قول فرعون الطاغية مجيبًا لقول هذا المؤمن الناهي عن قتل موسى –عليه السلام– ويقول لهم: ما أشير عليكم برأي ولا بنصيحة إلا ما أرى لنفسي ولكم صلاحًا وصوابًا وما أدعوكم إلا إلى طريق الحقّ والصواب في أمر موسى–عليه السلام– وقتله فإنكم إن لم تقتلوه بدَّل دينكم وأظهرَ في أرضكم الفساد [2]، "وهل يرى الطغاة إلا الرّشد والخير والصواب !؟ وهل يسمحون لأحد بأن يظن أنهم قد يخطئون !؟ وهل يجوز لأحد أن يرى إلى جوار رأيهم رأيًا !؟ وإلا فلم كانوا طغاة" [3].

والواضح من كذب فرعون على قومه أنّه كان مستشعرًا بالخوف الشديد من جهة موسى –عليه السلام– ولولا استشعاره هذا لم يستشر أحدًا ولم يقف الأمر على الإشارة، فهو لم يكذب إلا بعد أن

(1) "أيسر التفاسير" – (238/2) .
(2) انظر : "الكشاف" – للزمخشري (164/4) ، "مفاتيح الغيب" – للرازي (164/27) .
(3) "في ظلال القرآن" – لسيد قطب (3080/5).

تبين له صدق موسى –عليه السلام– وما جاء به من الحقّ وأنها ما أنزلها إلا الله ولكن فرعون جحدها هو ومن معه من قومه ليستخفوا بها عقول الجهلة منهم [1].

ويذكر سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أن سبيل الرّشاد إنّما هو سبيل المؤمنين الصالحين المتبعين لسبيل الله فهؤلاء قد أراهم الله– سبحانه وتعالى– بنور إيمانهم سبيل الصلاح والخير وجعلهم يميزون بين سبيل الرّشاد الذي فيه صلاحهم وسبيل الشيطان الذي فيه هلاكهم ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: 38).

في هذه الآية الكريمة يبين –سبحانه وتعالى– نصيحة المؤمن لقومه ممن تمرد وطغى وآثر الحياة الدّنيا ونسي الجبار الأعلى وقد ابتدأ موعظته بندائهم ليلفت إليه أذهانهم ويستصغي أسماعهم وبعنوان أنهم قومه لتصغي إليه أفئدتهم، وقوله لهم: اتّبعوني في اتّباعي لموسى –عليه السلام– واقتدوا بي في دخولي لهذا الدّين فإنكم إن فعلتم ذلك واتبعتموني ودخلتم في هذا الدّين فقد سلكتم الطّريق الصّحيح الذي يوصل سالكه إلى المقصود وإلى الاهتداء لمصالح الدّين والدّنيا وفي كلام المؤمن تعريض بأن ما يسلكه فرعون وقومه هو سبيل الغي والضلال[2].

وفي هذا الكلام تحدي صريح وواضح بكلمة الحقّ بحيث لا يخشى فيها سلطان فرعون الجبار ولا ملأه المتآمرين معه أمثال هارون وقارون وزيري فرعون،فهذا المؤمن يتحدى فرعون بقوله : أهدكم سبيل الرّشاد وقد كان فرعون قبلها بلحظات قد ذكر بأنه ما يهديهم إلا إلى سبيل الرّشاد [3].

فمن خلال ما سبق يتّضح أن سبيل الرّشد والرشاد هو سبيل المؤمنين الموحدين وهو طريق الصلاح في هذه الحياة، فالعاقل يتّبع هذا السّبيل ولا يحيد عنه لأن في اتّباع هذا السّبيل نجاته من عذاب النار وفوزه بالنعيم المقيم في جنّات الخلد، فدار الآخرة هي دار الاستقرار والإقامة الابدّية وهي دار السعادة التّي يرجوها كل مؤمن.

---

(1) انظر: "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" – للشنقيطي (386/6) .

(2) انظر : "تفسير القرآن العظيم" – لابن كثير (144/7) ، "التحرير والتنوير" – لابن عاشور (24 /148).

(3) انظر : "في ظلال القرآن" – لسيد قطب (3082/5)

المطلب التّاسع : السّبيل المقيم.

إن سبيل الله المقيم لهو الطّريق الواضح الدال على دينه وشرعه وهو سبيل واحد وطريق واحد لا متعدد ولا متفرع فمن حاد عن هذا السّبيل الواضح فمصيره العذاب في الدّنيا قبل الآخرة حتّى يكون عبرة لمن يعتبر، ومن الآيات التّي تؤكد على هذا السّبيل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ (الحجر:76).

يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة الطّريق والسّبيل الصّحيح والثابت وغير المتغيّر وهو سبيل واحد لا أكثر من ذلك.

وبالنظر إلى السّياق الذي وردت فيه هذه الآية الكريمة يتضح أن الحديث عن قوم لوط – عليه السلام– وعن عذابهم وعن كل ذنوبهم ومعاصيهم التّي اقترفوها بحق أنفسهم وبحق نبيهم لوط –عليه السلام – ،وترى الباحثة أنّه يحسن في هذا المقام ذكر السياق القرآني الذي وردت فيه هذه الآية الكريمة ليتضح مراد الله وليتبين معنى السّبيل المقيم، يقول –سبحانه وتعالى– :﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبراهِيمَ﴿ 51 ﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاَمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴿ 52 ﴾ قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ﴿ 53 ﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴿ 54 ﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالحقّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴿ 55 ﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبّه إِلاَّ الضَّآلُّونَ﴿ 56 ﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أيها الْمُرْسَلُونَ﴿ 57 ﴾ قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إلى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴿ 58 ﴾ إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴿ 59 ﴾ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴿ 60 ﴾ فَلَمَّا جَاء آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴿ 61 ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴿ 62 ﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴿ 63 ﴾ وَأَتَيْنَاكَ بَالحقّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴿ 64 ﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴿ 65 ﴾ وَقَضَيْنَا إليه ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴿ 66 ﴾ وَجَاء أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴿ 67 ﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلاء ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ﴿ 68 ﴾ وَاتَّقُوا اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ﴿ 69 ﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴿ 70 ﴾ قَالَ هَؤُلاء بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴿ 71 ﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴿ 72 ﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴿ 73 ﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴿ 74 ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴿ 75 ﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴿ 76 ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴿ 77 ﴾﴾ (الحجر:51-

77)، وذكرت الآيات عذابهم ومصيرهم بعد أن نالهم غضب من الله -ﷻ- وهو الخسف، ويذكر سبحانه في هذه الآية أن قرية قوم لوط -عليه السلام- هي بطريق واضح بين وعلم ليس بخفي ولا زائغ يراها كل من يمر بها من ناحية هذا المكان وكل من يجتازها فلا يخفى مكانها فطريقها دائم وثابت لن تزول ولن تضيعه عوامل التعرية أو الأغيار ولن تضيعه تلك العوامل إلا إذا شاء الحقّ سبحانه له أن يكون محكم التكوين ومحكم التثبيت [1].

وقرية سدوم[2] التّي أصابها ما أصابها من القذف بالحجارة والقلب، حتّى صارت بحيرة منتنة خبيثة وهي بطريق مسالكه مستمرة إلى اليوم، وسمي هذا السّبيل مقيمًا لثبوت الآيات فيه وقد كانوا يمرون عليها عند مضيهم إلى الشام ورجوعهم، وفي ذلك يقول الحقّ -ﷻ-: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴿137﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴿138﴾﴾ (الصافات :137،138).

وفي هذه الآية تنبيه لقريش حيث إنهم يسلكون هذا الطّريق المقيم والثابت ويرون الآثار التّي لم تندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار، حيث إنها بحال هلاكها لم تعمر حتّى الآن فالاعتبار بها ممكن ولكم فيها عبرة ومزدجر يوجب عليكم الحذر من أن تفعلوا كفعلهم لئلا ينزل الله بكم مثل ما أنزل بهم وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴾(محمد : 10) فهذه القرى وما ظهر فيها من آثار قهر الله وغضبه لبسبيل مقيم ثابت لم يندرس ولم يخف والذين يمرون من الحجاز إلى الشام يشاهدون ذلك ويرون أثره، ويعتبر بها من أراد الاعتبار [3].

فمن خلال ما سبق يمكن القول أنّ السّبيل المقيم هو سبيل واضح المعالم وضوح الشّمس في صفحة السماء، وظاهر لكل من يريد أن يرى بنور الله ويتبع طريق الرّشاد وهو سبيل الوصول إلى الله

---

(1)انظر : جامع البيان – الطبري (17 /122) ، معاني القرآن – الزجاج (185/3) ،تفسير القرآن – السمعاني (147/3) .

(2)قرية سدوم تقع في مدينة أريحا، فلسطين.

(3)انظر : معلم التنزيل في تفسير القرآن – البغوي (63/3) ، الكشاف – الزمخشري (586/2) ، زاد المسير في علم التفسير – الجوزي (540/2) ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل – النسفي (196/2).

-ﷻ- وإلى مرضاته سبحانه في الدّنيا والآخرة و الابتعاد عن كل ما يغضبه، فعلى كل واحد منا الاتعاظ وأخذ العبر من أخطاء السابقين واجتناب كل ما يغضب الله من قول أو فعل أو عمل تجنبًا لغضب الله وخسران عفوه ومرضاته وجنّته.

المبحث الثّاني: السّبل المذمومة

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأوّل: سبيل الطّاغوت.

المطلب الثّاني: سبيل المفسدين.

المطلب الثّالث: سبيل المجرمين.

المطلب الرّابع: سبيل الغي.

المطلب الخامس: السّبيل السيء.

المطلب السّادس: سبيل الذّين لا يعلمون.

المبحث الثّاني: السّبل المذمومة

تتعدّد السّبل المذمومة في السّياق القرآني لتشمل سبيل الطّاغوت والمفسدين والمجرمين، وسبيل الغيّ، والسّبيل السّيء، وسبيل الذّين لا يعلمون، والتي ستتناولها الباحثة بالتّفصيل خلال المباحث الآتية:

المطلب الأوّل: سبيل الطّاغوت.

يعدُّ سبيل الطّاغوت سبيلًا للشيطان والبعد عن الله –ﷻ–، فهو طريق المنحرفين الضّالين الذّين تنكبوا طريق الحقّ واتبعوا طريق الغواية فضلوا وأضلوا غيرهم من الناس متناسين قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (العلق:14)، وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُور﴾ (غافر:19)، فهؤلاء القوم الذّين اتبعوا هذا السّبيل ولازموه حتّى ران الله على قلوبهم فلم يستطيعوا أن يروا بنور الله نور الحقّ حيث قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين:14)، ومصيرهم يوم القيامة إلى جهنم ألا ساء ما يعملون.

ومن الآيات التّي تبيّن هذا السّبيل وتدعو إلى اجتنابه قوله تعالى: ﴿الذّين آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطّاغوت فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء:76)، ففي هذه الآية الكريمة يمدح الله سبحانه وتعالى المؤمنين الذّين صدقوا الله ورسوله وأيقنوا بموعود الله لأهل الإيمان به، فهؤلاء يقاتلون في سبيل طاعة الله ونصرة لدينه وشريعته التّي شرعها لعباده لأن من يتّبع سبيل الله يحصل على ثوابه وجنّته التّي أعدّها لأوليائه الصّالحين.

وبالمقابل يذمّ سبحانه وتعالى المنافقين الذّين جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله وما جاءهم به من عند ربّهم، وهؤلاء يقاتلون في سبيل طاعة الشّيطان وفي طريقه ومنهاجه الذي شرعه لأوليائه من أهل الكفر به، فالشّيطان هو الذي يأمر ويدعو للسلوك في سبيله فما يكون منهم إلا طاعته والسير في سبيله[1]، بعد ذلك يهيِّج ويحرّض سبحانه وتعالى المؤمنين على قتال الشيطان وحزبه وجنده وهم

(1)انظر : "جامع البيان"–للطبري (546/8–547)، " تأويلات أهل السنة"–للماتريدي (258/3)

الكفار وأهل الشرك أعداء الله وأعداء دينه الذّين ينصرون الشيطان ويطيعون أمره في خلاف طاعة الله، ويقول سبحانه للمؤمنين لا تهابوا أولياء هذا الشيطان فإنما هم حزبه وأنصاره وحزب الشيطان هم أهل وهن وضعف.

وسبب وصفه تعالى لهم بالوهن لأنهم لا يقاتلون رجاء ثواب ولا يتركون القتال خوف عقاب، وإنما يقاتلون حمية أو حسدًا للمؤمنين على ما آتاهم الله من فضله.

والمؤمنون يقاتل من قاتل منهم رجاء العظيم من ثواب الله، ويترك القتال إن تركه على خوف من وعيد الله في تركه، فهو يقاتل على بصيرة بما له عند الله إن قتل، وبما له من الغنيمة والظفر إن سلم، والكافر يقاتل على حذر من القتل، وإياس من المعاد، فهو ذو ضعف وخوف[1].

"وأمّا الذّين لَا يذعنون للحق، ولا يؤمنون به، ولا يقيمون للفضيلة وزنًا، فإن قتالهم في سبيل الغلب، والسلطان الغاشم، والتحكم والسيطرة، وإن الماضي والحاضر يشهدان بصدق ذلك، وإن العيان ليؤيد هذه الشهادة الصادقة، ألم تر إلى أولئك الذّين يتحكمون الآن في مصاير العالم، لَا يفكرون إلا في الغلب على قطعة من الأرض يستولون عليها، أو يبسطون نفوذهم فيها، وما ذلك إلا طغيان المتحكمين المسيطرين في بلاده، وانظر نظرة عميقة إلى أولئك الذّين وضعوا أيديهم على أدوات الحرب المخربة، التّي إن ألقيت لَا تبقي ولا تذر، وتأكل الأخضر واليابس، فإنهم يتغالبون على النفوذ، ولو استشيرت أمَمُهم فردا فردا، لاستنكروا ما هم مقدمون عليه أو يكادون! فالحروب التّي يثيرها الكافرون في هذا الزمان لَا يدفعها إلا طغيان أفراد معدودين، يتحكّمون في الشعوب ومصايرها، بطريقة أقسى مما كان يتحكم الملوك من قبل"[2].

وهكذا يندم اتّباع هذا الشّيطان بعد انقيادهم له، ولكن بعد فوات الأوان يوم لا ينفع مال ولا بنون، فهؤلاء المنقادون لهذا الطّاغوت وإن كانوا كثير في العدد والعتاد فهذا كله وهن وضعف، لأنّ قوتهم وكثرتهم من قوة الشّيطان، والشّيطان من أوهن خلق الله وأضعفهم، فحالهم سواء وكثرتهم هباءً.

---

(1)انظر : "أحكام القرآن"-للجصاص (182/3)، "بحر العلوم"-للسمرقندي (318/1)

(2) "زهرة التفاسير"-لأبي زهرة (1767/4).

المطلب الثّاني: سبيل المفسدين.

يعدُّ سبيل المفسدين سبيل كل ظالم وكل متبعٍ للشيطان، وسبيل كل مبتعدٍ عن سبيل الحقّ والخير والصلاح، إنّه طريق كل منحازٍ إلى طرق الفساد والشر وسبيل الذّين يفسدون عقائد ضعفاء الأنام بالتمويهات الباطلة والتغريرات العاطلة، هنا يحذرنا –ﷻ– من اتّباع هذا السّبيل فقال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾(الأعراف:142).

في هذه الآية يذكر –ﷻ– ممتنًا على بني اسرائيل بما حصل لهم من الهداية، بتكليمه لموسى –عليه السلام– وإعطائه التوراة وفيها أحكامهم وتفاصيل شرعهم، فذكر تعالى أنّه واعد موسى –عليه السلام– ثلاثين ليلة من ذي القعدة، والغاية من هذا الوعد هو الانعزال عن شواغل الأرض ليستغرق في هواتف السماء ويعتكف فيها عن الخلق ليستغرق فيها في الخالق الجليل وتصفو روحه وتشف وتستضيء وتتقوى عزيمته [1].

ويذكر الزمخشري : " أن موسى –عليه السلام– وعد بني اسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون، فلما هلك فرعون سأل موسى ربّه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يومًا وهو شهر ذي القعدة، فلما أتم الثلاثين أنكر خلوفَ فيه فسوك، فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك، وأوحى الله تعالى إليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك، فأمره الله تعالى أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك"[2].

وأمره سبحانه وتعالى أن يعمل فيها ما يقربه من الله، ثم أنزلت عليه التوراة في العشر التّي أمره بصيامها، وفيها كلم الله سبحانه وتعالى.

وقبل أن يمضي موسى عليه السّلام لموعد ربّه وقبل مغادرته لقومه واعتزاله واعتكافه قال لأخيه هارون كن خليفتي في قومي إلى أن أرجع، وأوصاه بالإصلاح وأن يقيم في قومه الحقّ والعدل وأن يصلح بينهم وأن يحفظ وحدتهم ويحارب دعاة التفرق، وأوصاه –عليه السلام– أن يتجنب مسايرة

(1)انظر : "في ظلال القرآن"–للسيد قطب:(1367/3).

(2) "الكشاف"– (151/2).

المفسدين، بل عليه قطع طريقهم ولا يمكنهم من الفساد الذي يريدونه، وكأنه بفطنة النبوة أدرك أنهم سيحدثون أحداثا من بعده.

وفي هذا تنبيه وتذكير وإلا فهارون –عليه السلام– نبي شريف كريم على الله له وجاهة وجلالة صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء[1].

وأيضًا إن موسى –عليه السلام– يقدر ثقل هذه المهمة وهو يعرف طبيعة قومه بني إسرائيل، وقد تلقى هارون –عليه السلام– النصيحة ولم تثقل على نفسه، فالنصيحة إنّما تثقل على نفوس الأشرار المفسدين لأنها تقيدهم بما يريدون أن ينطلقوا منه، وتثقل على نفوس المتكبرين الصغار الذّين يحسون في النصيحة تنقصًا لأقدارهم![2].

وهكذا يتبين لنا من خلال ما سبق أن سبيل المفسدين هو سبيل ضال لا يسلكه إلا أصحاب الأهواء والشهوات المتّبعين لآرائهم الفاسدة والمتمسكين بما ورثوه عن آبائهم السابقين من عادات سيئة، فيكونون بذلك قد اتّبعوا سبيل الشيطان في كل الأمور، واستحقوا أن يطبع على قلوبهم حتّى لا يفقهوا شيئًا من البراهين والآيات الدالة على طريق الله وطريق جنته.

المطلب الثّالث: سبيل المجرمين.

يعدُّ سبيل المجرمين من السّبل المذمومة التّي حذر منها شرعنا الكريم في العديد من الآيات التّي بيّنت أن متّبع هذا السّبيل هم أهل الباطل المغلبين لأهوائهم الفاسدة والمذمومة على طاعة الله واتّباع رسوله –ﷺ–، وبيّنت جزاءهم في الدّنيا وسوء عاقبتهم في الآخرة.

ومن الآيات التّي تبين هذا السّبيل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام:55).

يذكر –سبحانه وتعالى– في هذه الآية : أنّه وكما فصلنا لك في هذه السورة من ابتدائها وفاتحتها يا محمد دلائلنا ومحاجتنا مع المشركين من عبدة الأوثان وميّزناها لك وبيّناها، كذلك نفصّل لكم الآيات لكل ما تحتاجون له من أمر الدّين ونبيّن لكم الأدلة والحجج في كل حق ينكره أهل الباطل من سائر أهل

(1)انظر: "تفسير القرآن العظيم"–لابن كثير:(4168/3).

(2)انظر : "الكشاف"– للزمخشري(151/2)، "الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية"– للشيخ علوان (265/1)

الملل، فنبيّنها لك حتّى تبيّن حقه من باطله، وصحيحه من سقيمه، كل ذلك حتّى تستبين لكم أحوال المجرمين ممن هو مطبوع على قلبه ولا يرجى إسلامه، ومن يرى فيه أمارة القبول وهو الذي يخاف إذا سمع ذكر القيامة، ومن دخل في الإسلام إلا أنّه لا يحفظ حدوده، ولتستوضح سبيلهم وطريقهم وسيرتهم في الظلم والحسد والكبر واحتقار الناس والتصلب في الكفر، فتعامل كلًا منهم بما يجب أن يعامل به[1].

فيجب أن تبدأ الدّعوة إلى الله باستبانة سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين، ويجب ألا تأخذ أصحاب الدّعوة إلى الله في كلمة الحقّ والفصل هوادة ولا مداهنة، وألا تأخذهم فيها خشية ولا خوف وألا تقعدهم عنها لومة لائم، ولا صيحة صائح.

ويذكر السعدي: " أن سبيل المجرمين إذا استبانت واتّضحت أمكن اجتنابها والبعد عنها بخلاف ما لو كانت مشتبهة ملتبسة فإنه لا يحصل هذا المقصود الجليل"[2].

ووجه الاستبانة والإيضاح في هذه الآية ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة، فعلى العاقل أن يسلك طريق الفوز والفلاح ويصل إلى ما وصل إليه أهل الصلاح[3].

"أجل يجب أن يجتاز أصحاب الدّعوة إلى الله هذه العقبة وأن تتم في نفوسهم هذه الاستبانة كي تنطلق طاقاتهم كلها في سبيل الله لا تصدها شبهة، ولا يعوّقها غبش، ولا يميّعها لبس، فإن طاقاتهم لا تنطلق إلا إذا اعتقدوا في يقين أنهم هم «المسلمون» وأن الذّين يقفون في طريقهم ويصدونهم ويصدون الناس عن سبيل الله هم «المجرمون»، كذلك فإنهم لن يحتملوا متاعب الطّريق إلا إذا استيقنوا أنها قضية كفر وإيمان، وأنهم وقومهم على مفرق الطّريق، وأنهم على ملة وقومهم على ملة، وأنهم في دين وقومهم في دين" [4].

هذا هو سبيل المجرمين سبيل واضح لكل من أراد اجتنابه واتّباع سبيل الحقّ، وكذلك لمن أراد أن يتّبعه ويتعامى عن سبيل الحقّ وينقاد وراءه حتّى يوصله إلى النيران ويبعده عن الجنان.

---

(1)انظر : "الكشاف"- للزمخشري (29/2)، "التحرير والتنوير"- لابن عاشور (261/7)

(2) "تيسير الكريم الرّحمن"-(258/1).

(3)انظر : "روح البيان"- لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستنبولي (39/3).

(4)"في ظلال القرآن"- لسيد قطب:(1107/2).

المطلب الرّابع: سبيل الغي.

إن سبيل الغي مثل غيره من سبل الشيطان الأخرى الفاسدة المذمومة، فهذا السّبيل كله انحراف وفساد وظلم وشر يقع في الأرض، ويقع إلى نهاية هذه الحياة، سبيل يجب الحذر منه ويجب الابتعاد عنه حتّى لا يقع الإنسان في شراك الشيطان، ويصبح فريسة له ولكل مغرياته التّي تجرف بهذا الإنسان في تيار الشرك والبعد عن الله وتردي به في الهاوية، وقد بيّن سبحانه وتعالى هذا السّبيل في قوله: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الذّين يَتَكَبَّرُونَ فِي الأرض بِغَيْرِ الحقّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرّشد لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾(الأعراف:146).

في هذه الآية الكريمة يذكر –ﷻ– أنّه سوف يصرف ويصد ويمنع عن فهم آياته وعلاماته ودلائله الدالّة على وجوده كل الذّين يتجبرون على عباد الله ويحاربون أوليائه حتّى لا يؤمنوا به وسيصرفهم عن قبول آياته في كتاب الكون المنظور وآياته في كتبه المنزلة على رسله وعن التصديق بها، فهؤلاء قد عوقبوا بالحرمان من الهداية لعنادهم للحق وتكبرهم عليه لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾(الصف:5).

وما يتكبر عبد من عبيد الله في أرضه بالحقّ أبدًا، فالكبرياء صفة الله وحده لا يقبل فيها شريكًا وحيثما تكبر إنسان في الأرض كان ذلك تكبرًا بغير حق، فالتكبر أساس الشرّ كله ومنه ينبعث[1].

ولقد صور الله تعالى تفكيرهم فقال في نظرتهم إلى الحقّ وإلى الباطل أنهم لا يؤمنون بأيّ آية يرونها، لأن قلوبهم صرفها هواهم عن الحقّ فصارت متدرّنة بالباطل لا تستسيغ الحقّ ولا تقبله.

وإن كل آية، أي آية مهما تكن واضحة الدلالة بيّنة الهداية لا يصدقوا بها لأنهم عميت عن الحقّ أبصارهم وأصبحوا في صمم عنها، فإن القلب إذا أعمي كره الحقّ وغفل عن آياته[2].

(1)انظر : " أنوار التنزيل وأسرار التأويل"– للبيضاوي:(34/3).

(2)انظر : " معالم التنزيل في تفسير القرآن"– للبغوي:(282/3).

ويذكر –ﷻ– في هذه الآية تصوير نزوعهم إلى الباطل ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾، فالرشد يحتاج إلى عزيمة وقوة نفس، وسيطرة على الشهوات وحمل على الإيثار، والذين يستكبرون ويطغون فيهم شهوات مستحكمة، فلهذا إذا رأى المكذّبون سبيل الرّشد الذي يعطي لله وللناس حقوقهم فإنهم لا يتخذونه سبيلًا لسلوكهم وطريق حياتهم، لأنه يحتاج إلى بصيرة مدركة، وعزيمة صادقة، وإرادة عاقلة.

وبالمقابل إن يرى هؤلاء المتكبرون سبيل الضلال وهو الغي يتخذوه مسلكًا لهم، لأنه سبيل الهوى والشهوات والطغيان، فهو يتفق مع نزعة التكذيب لآيات الله تعالى والغفلة عن هدايتها، والاستكبار الذي أعماهم عن التأمل فيها، والتعرف على أسرار الله في مكنونها[1].

ولقد ذكر –ﷻ– سبب ذلك الضلال الذي يحولهم من الرّشد إلى الغي ويجعلهم يستحسنون الشر وسبيله، ويستهجنون الخير وطريقه، وهو أنهم كذبوا بآيات الله، وسارعوا بهذا التكذيب فاجتالهم الشيطان عنها، وساروا منحرفين عنها غافلين عن معانيها، ومن سار في طريق منحرفٍ عن الخط المستقيم أوغل في الانحراف حتّى يضل ضلالًا بعيدًا، وكلما أمعن في السير أمعن في الضلال حتّى لا تكون هداية، وأخذهم الكبر فكذبوا بآيات الله وفسدت نفوسهم وأذواقهم حتّى صاروا يذوقون المر فيحسبونه حلوًا، وفسدت مداركهم فصاروا لا يفرقون بين الخير والشر، ولا بين الحسن والقبيح، فإن رأوا سبيل الرّشد لا يختاروه، وإن رأوا سبيل الغيّ اختاروه، وهكذا تلفت مشاعرهم، وضلت أفهامهم، وإنما يستقيم الفكر إذا استقامت النفس[2].

ولا يظلم الله هذا الصنف من الخلق بهذا الجزاء المردي المؤدي إلى الهلاك في الدّنيا والآخرة، إنّما هو جزاء الحقّ لمن يكذب بآيات الله ويغفل عنها، ويتكبر في الأرض بغير الحقّ، ويتجنب سبيل الرّشد حيثما رآه، ويهرع إلى سبيل الغي حيثما لاح له، فإنما بعمله جوزي وبسلوكه أورد موارد الهلاك[3].

---

(1)انظر : " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"– لابن عطية:(454/2).

(2)انظر : " الدر المنثور في التفسير بالمأثور"– للسيوطي:(562/2)، "الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية" – للشيخ علوان (267/1).

(3)انظر : "في ظلال القرآن"– لسيد قطب:(1372/3)، "زهرة التفاسير"– لأبي زهرة(2951/6).

تبيّن لنا من خلال ما سبق سنّة الله تعالى في صرف العباد عن آيات الله حتّى هلكوا، فمن أهم عوامل الوصول إلى سبيل الغي هو التّكبر عن آيات الله والتكذيب بها والغفلة عنها، فهذا هو سبب كل ضلال وشرّ وظلم وفساد وهو سبب بطلان كل عمل لم يسلك فيه صاحبه سبيل الرّشد التّي هي سبيل الله والتي من خلالها تحدد الآيات القرآنية وتبين معالمها وترفع أعلامها.

المطلب الخامس: السّبيل السيء.

يعدُّ السّبيل السيء من السّبل المذمومة التّي ذمها الإسلام وحذر من اتّباعها والانقياد وراءها، فهي مذمومة ومذموم من اتبعها لكونها تخرج الإنسان عن الفطرة السليمة التّي خلقه الله –ﷻ– عليها، ومن الآيات التّي تدعو إلى اجتناب هذا السّبيل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّه كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاء سَبِيلًا﴾ (النساء:22).

وقد قيل في سبب نزول هذه الآية عن رجل من الأنصار قال: لما توفّي أبو قيس – يعني ابن الأسلت– [1]وكان من صالحي الأنصار، فخطب ابنه قيس امرأته، فقالت: إنّما أعدّك ولدًا وأنت من صالحي قومك، ولكن آتي رسول الله –ﷺ– فأستأمره. فأتت رسول الله –ﷺ– فقالت: إن أبا قيس توفّي فقال: ''خيرًا''، ثم قالت: إن ابنه قيسًا خطبني وهو من صالحي قومه، وإنما كنت أعدّه ولدًا فما ترى؟ فقال لها ارجعي إلى بيتك. فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ....﴾ [2].

في هذه الآية الكريمة نهى –ﷻ– عما كانت عليه الجاهلية وما كان فاشيًا فيها من نكاح نساء آبائهم إذا ماتوا وهو شروع في بيان من يحرم نكاحه من النساء ومن لا يحرم، وإنّما خص هذا النكاح في النهي مبالغة في الزجر عنه حيث كانوا مصرّين على تعاطيه على الرغم من قبحه فذمّه الإسلام بالتنفير عنه، وأيضًا زجر الإسلام عنه تكرمة للآباء وإعظامًا وإحترامًا أن توطأ من بعده حتّى إنها لتحرم على الابن بمجرد العقد عليها.

---

(1)أبو قيس: هو صفي بن عامر الأسلت بن جشم بن وائل الأوسي الأنصاري، أبو قيس، شاعر جاهلي من حكمائهم، كان رأس الأوس وشاعرهم وخطيبهم وقائدهم في حروبهم، وكان يكره الأوثان ويبحث عن دين يطمئن إليه فلقي علماء من البهود ورهبانًا وأحبارًا، ووصف له دين إبراهيم فقال أنا على هذا،ولما ظهر الإسلام اجتمع برسول الله –ﷺ– وتريث في قبول الدعوة، فمات بالمدينة قبل أن يسلم سنة 1هـ. (انظر: "الأعلام" – للزركلي (211/3).

(2)انظر: "المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة" – للمزيني (376/1)..

وأما ما وقع في الجاهلية قبل نزول التحريم فاجتنبوه ودعوه فإنه مغفور ومعفو عنه ولا تؤاخذون عليه، فمن كان متزوجًا ممن كانت امرأة أبيه، فإنها حرام عليه من وقت نزول ذلك النّص الكريم وعفى الله عما سلف، ولا يجوز لكم ابتداء مثله في الإسلام [1].

وقد وصف الله هذا النوع من العقود بثلاثة أوصاف:

أولها: أنّه فاحشة، وسمّي فاحشة لأنّ زوجة الأب في منزلة الأم، ونكاح الأمهات حرام، فلما كان نكاح زوجات الآباء كنكاح الأمّهات سمّي فاحشة لأنه من أقبح المعاصي وأشدّها.

وثانيها: أنّه يورث المقت من الله وهو أشدّ الغضب وغاية الخزي والخسارة وممقوت من ذوي المروءات لا يقبلونه ولا يرضونه.

وثالثها: أنّه أسوأ سبيل لطلب الولد، وبئس الطّريق لمن سلكه من الناس، فمن تعاطاه بعد هذا فقد ارتد عن دينه، فيقتل ويصير ماله فيئًا لبيت مال المسلمين[2].

ومن الآيات التّي تدعو إلى اجتناب السّبيل السيّء وعدم الاقتراب منه ومن كل ما يؤدي إليه من الأمور السيئة التّي حرمها الله ومن كل ما يؤدي إلى السير في هذا السّبيل المذموم قوله تعالى: **﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى أنّه كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلًا﴾** (الإسراء:32).

في هذه الآية الكريمة ينهى -ﷻ- عن الزنا وعن مقاربته ومخالطة أسبابه ودواعيه التّي تؤدي إلى ارتكابه، وذَكَرَ الزنا دون غيره من الفواحش لأن فيه تضييع حرمة الحقّ وهتك حرمة الخلق ولما فيه من الإخلال بالنسب وإفساد ذات البين، والزنا يؤدي إلى تضييع النسل ويذهب بقوة الأمة، وما كثر الزّنا بأمّة إلا عمّها الخراب وضاعت فيها الأنساب[3].

وقد وصف الله -ﷻ- الزّنا بأنه فاحشة أي أنّه حال قبيحة مفرطة في القبح زائدة، واللجوء إلى هذه الفاحشة يجعل الحياة الزوجية نافلة لا ضرورة لها، ويجعل الأسرة تبعة لا داعي إليها، والأسرة هي الحضن الصالح للفراخ الناشئة لا تصح فطرتها ولا تسلم إلا فيه.

---

(1)انظر: "تفسير القرآن العظيم" - لابن كثير (245/2)..

(2)انظر : "جامع البيان"- للطبري:(137/8)، "لباب التأويل في معاني التنزيل"- للخازن (358/1)، "فتح البيان في مقاصد القرآن"- لأبي الطيب القنوجي (66/3-67)، "تفسير المنار"- لمحمد رشيد رضا (380/4).

(3)انظر: "تفسير القرآن العظيم"- لابن كثير:(72/5).

فما أسوأه من طريق وسبيل لأنّه اعتداء على الفضيلة ويؤدي إلى انحلال الأسرة، وانحلالها انحلال للمجتمع، وسلوك هذا السّبيل يؤدي بفاعله إلى دخول نار جهنّم وبئس المصير، فلا خلاف في كونه من كبائر الذنوب[1].

يقول الأستاذ سيد قطب: "فالقرآن الكريم يحذر من مجرد مقاربة الزنا، وهي مبالغة في التحرّز، فالتحرّز من المقاربة أضمن، فعند المقاربة من أسبابه لا يكون هناك ضمان. فيكره الاختلاط في غير ضرورة ويحرم الخلوة وينهى عن التبرج والزينة ويحض على الزواج لمن استطاع، ويوصي بالصوم لمن لا يستطيع، ويكره الحواجز التّي تمنع من الزواج كالمغالاة في المهور، وينفي الخوف من العيلة والإملاق بسبب الأولاد، ويحض على مساعدة من يبتغون الزواج ليحصنوا أنفسهم ويوقع أشدّ العقوبة على الجريمة حين تقع، وعلى رمي المحصنات الغافلات دون برهان، إلى آخر وسائل الوقاية والعلاج ليحفظ الجماعة الإسلامية من التردّي والانحلال"[2].

من خلال ما سبق يتضح لنا أنّ السّبيل السيء هو سبيل قد ذمه الإسلام، وأوجب الابتعاد عنه وحذر منه، فهذا السّبيل لا يورث إلا الفساد في الأرض ابتداءً بالأسرة وانتهاءً بالمجتمع، سبيل على رأسه الشيطان وأعوانه من الجن والإنس، فيجب الحذر كل الحذر منه ومن السير و السلوك فيه، فاتّباعه لا يورث إلا غضب الله وسخطه.

المطلب السّادس: سبيل الذّين لا يعلمون.

إنّ سبيل الذّين لا يعلمون هو سبيل للجهلة البعيدين عن سبيل الله الذّين يرون الحقّ ولا يتبعونه ويتعامون عنه ويجعلون للشيطان عليهم سبيلًا، فالإسلام حرر اتّباعه ودعا إلى الابتعاد عن هذا السّبيل والتزام الاستقامة، ومن الآيات التّي تدعو إلى اجتناب هذا السّبيل قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الذّين لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يونس:89).

جاءت هذه الآية في سياق إخبار الله تعالى أنّه استجاب لدعوة موسى –عليه السلام– على فرعون وملئه لمّا أبوا قبول الحقّ واستمرّوا على ضلالهم وكفرهم معاندين جاحدين ظلمًا وعلّوًا، وتكبّرًا وعتوًّا.

(1)انظر: "فتح البيان في مقاصد القرآن"– لأبي الطيب القنوجي (385/7).

(2) "في ظلال القرآن"– (2224/4).

ودعوة موسى التّي دعاها على قومه وردت في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدّنيا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حتّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ (يونس:88).

حيث قال موسى –عليه السلام– يا ربّ إنّك أعطيت فرعون وأشرافه الذّين يعاونونه في ظلمه وبغيه زينة وأموالًا في الحياة الدّنيا فما كان منهم إلا أن ضلوا عن سبيلك بالكفر والعتوّ والطّغيان ولم يرعوا حقًّا، وادّعى فرعون كذلك أنّ له ملك مصر وأن هذه الأنهار تجري من تحته، فرجى موسى ربّه ضارعًا أن يزول عنهم من سبّب طغيانهم وهو طمس أموالهم ومحقها وأن تصبح غير صالحة لأي انتفاع لهم بها، وأن يجعل قلوبهم تذوق الشدة المريرة، فلا يؤمنوا حتّى يروا ذهاب أموالهم وفراغ نفوسهم وذوق قلوبهم القسوة الشّديدة[1].

وهذه الدّعوة من موسى –عليه السلام– غضبًا لله ولدينه على فرعون وملئه الذّين تبيّن له أنّه لا خير فيهم.

ولهذا استجاب الله تعالى لموسى –عليه السلام– هذه الدّعوة التّي أمّن عليها أخوه هارون –عليه السلام–، وأنزل الله بهم ما طلب موسى وأخوه عليهما السّلام من تدمير فرعون وملئه[2].

وقد أمر الله –سبحانه وتعالى– موسى وهارون عليهما السّلام أن يستقيما في طريقه وعلى هداه حتّى يأتي الأجل، وأن يكونا مؤمنين وأن يلتزما الإخلاص في القول والعمل وصدق الاتجاه إلى الله تعالى، وأكد سبحانه على طلب الاستقامة بأن قال لهما أن لا يسلكا مسلك الذّين لا يعلمون حقيقة وعدي ووعيدي، فإنّ مسلكهم ليس فيه استقامة بل هو الاعوجاج والعدول عن الطّريق المستقيم، فإن من اتبع هذا الطّريق يتخبّط على غير علم ويتردّد في الخطط والتدبيرات ويقلق على المصير ولا يعرف إن كان يسير في الطّريق الهادي أم هل ضلّ السّبيل[3].

حقًا إنّه سبيل فاسد ومضل، يؤدي بكل اتّباعه إلى الخسران وإلى الضياع والمحق ولكن بعد فوات الأوان بعد أن عصوا الله وتجبروا على خلقه وأفسدوا في أرضه، بعد أن رأوا الآيات واضحة

(1)انظر: "الجامع لأحكام القرآن"– للقرطبي (377/8).
(2)انظر: "تفسير القرآن العظيم"–لابن كثير (291/4).
(3)انظر: "في ظلال القرآن"– لسيد قطب (1817/3).

وضوح الشمس في صفحة السماء ولكنهم أعرضوا عنها ونسوا وعد الله ونسوا يومَ يرجعون فيه إلى الله ويوم يحاسبهم على أعمالهم الفاسدة ويدخلهم في نيرانه المستعرة.

المبحث الثّالث: سبلٌ لا توصف بمدحٍ أو ذم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: ابن السّبيل.

المطلب الثّاني: سبيل الأرض.

المطلب الثّالث: سبيل الحوت.

المبحث الثّالث: سبلٌ لا توصف بمدحٍ أو ذم

تتعدّد السّبل المباحة التي لا حرج فيها لتشمل ابن السّبيل وسبيل الأرض وسبيل الحوت، والتّي ستناولها الباحثة بالتّفصيل في المطالب الآتية:

المطلب الأوّل: ابن السّبيل.

يعدُّ ابن السّبيل من الأصناف التّي أولاها الإسلام عناية خاصة وشرع لها من الحقّوق ما يكفل راحتهم في المكان المنقطعين فيه، فأمر -ﷻ- بإعطاء ابن السّبيل مالًا يسد حاجاته ويحفظ كرامته، ومن الآيات الداعية إلى ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:215).

إنّ ابن السّبيل هو المنقطع في سفره ولا مأوى له وقد يكون له مال ولكنه انقطع عنه وحالت بينه وبين ماله حوائل، فهو كالفقير لغيبة ماله، فالمتصدق يتصدق عليه من باب الأخوة الإنسانية[1].

ففي هذه الآية حثّ للمؤمنين على قضاء حاجة ابن السّبيل على سبيل التطوع، فيعان على سفره بالنفقة التّي توصله إلى مقصده.

وأطلق عليه ابن السّبيل لأنه انقطع عن السّبيل الذي يسير فيه، وإنّ إيتاء المال لهذا يكون بإعطائه ما يسعفه من قوت وبإيوائه حتّى يئوب وإعطائه قدرًا يصل به إلى بلده، ويصح أن يُسهَم في إنشاء مضيف يأوي إليه أبناء السّبيل الذّين ينقطع بهم الطّريق ولا يجدون مأوى [2].

ويقول الشعراوي: "لقد جعل الله نصيبًا من المال لابن السّبيل حتّى يفهم المؤمن أن تكافله الإيماني متعدٍّ إلى بيئة وجوده، فحين يوجد في مكان وينتقل إلى مكان آخر يكون في بيئة إيمانية متكافلة"[3].

---

(1)انظر : "محاسن التأويل"- لمحمد جمال الدّين القاسمي (98/2).

(2)انظر : "روح البيان"- للإستنبولي(332/1).

(3)"تفسير الشعراوي"- (737/2).

"فالنفقة لابن السّبيل هي نجدة له في ساعة العسرة، ساعة الانقطاع عن الأهل والمال والديار، وإشعار له بأن الإنسانية كلها أهل، وبأن الأرض كلها وطن يلقى فيها أهلًا بأهل ومالًا بمال وصلة بصلة وقرارًا بقرار" [1].

ومن الآيات التّي تدعو إلى الإحسان إلى ابن السّبيل والرفق به والتصدق عليه قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾(النساء:36).

فقد أوصى الله –ﷻ– في هذه الآية الكريمة إلى الإحسان إلى ابن السّبيل وهو المنقطع عن أهله ولا مال له، فكأن الطّريق تبناه، والإحسان إليه يكون بإيوائه وإطعامه وتسهيل الحياة له حتّى يعود إلى أهله، وقد أوجب الإسلام إعداد مأوىً لهؤلاء المنقطعين في سفرهم من بيت مال الزكاة وامدادهم بالطعام والكساء حتّى يثوبوا ويرجعوا إلى أهلهم،فابن السّبيل قد يكون غنيًا وقد تشتد حاجته في هذا الوقت، والإحسان إليه يكون بإطعامه وايوائه وعدم إيذائه بأي نوع من أنواع الأذى، وبمساعدته بما يوصله إلى موطنه.

وقد أوصى سبحانه بابن السّبيل لأنه ضعيف الحيلة قليل النصير إذ لا يهتدي إلى أحوال قوم غير قومه وبلد غير بلده [2].

"وفي أمر الشارع بمواساة ابن السّبيل والإحسان إليه وإعانته في سفره ترغيب منه في السياحة والضرب في الأرض" [3].

ومن صور الإحسان إلى ابن السّبيل أن يضيفه إذا نزل به وأن يجعله ضيفًا عنده، وأن يقدم إليه من البشاشة والرعاية والإكرام ما يقدم للضيف العزيز دون منٍّ أو أذى، ودون ضيق أو كره.

وفي تسميته ضيفًا رعاية لهذا الواجب الذي ينبغي للمضيف أن يؤديه له وصيانة لابن السّبيل من أن ينُظر إليه أو ينَظر هو إلى نفسه نظرة المتطفل، بل هو صاحب حق، وهو إذ ينزل بأحد المسلمين فإنما ليستقضي حقه عنده [4].

---

(1)"في ظلال القرآن"– لسيد قطب (160/1).

(2)انظر : "التحرير والتنوير"– لابن عاشور (51/5).

(3)"تفسير المراغي"– للمراغي (56/2).

(4)انظر : "التفسير القرآني للقرآن"– لعبد الكريم يونس الخطيب – (819/5).

وقد جعل الإسلام نصيبًا لابن السّبيل من بيت مال المسلمين صيانة لحقه لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:60).

ذكرت الآية المسافر الذي على هذه الصفة أنّه إنسان في معرض الضياع والهلاك إن لم يجد اليد الرحيمة التّي تمتدّ إليه بالبر والإحسان، فتدفع عنه عادية الجوع التّي تهجم عليه وتريد اغتياله.

وفي جعل بيت المال هو الذي يقوم بهذا الأمر ويتولى رعاية أبناء السّبيل في هذا ضمان موثق لحماية هذه الطائفة، إذ كان بيت المال بموارده الكثيرة أقدر على كفالة هذه الجماعة وتوفير أسباب الحماية لها، ثم هو –من جهة أخرى– صيانة لكرامة الإنسان من أن يمد يده إلى غيره من الناس، أو أن يستشعر أنّه عالة على أحد الأمر الذي عافاه الله منه، فجعل إلى بيت المال كفالة هذا الإنسان والبر به والإحسان إليه [1].

ومن جهة أخرى فإن الإسلام قد نظر نظرة أوسع من هذا، فلم يجعل لبيت المال وحده القيام بهذا الواجب حيال أبناء السّبيل، فقد يكون ابن السّبيل في مكان لا تصل إليه يد بيت المال، وقد يكون بيت المال ولا مال فيه يتسع للوفاء لحاجة المحتاجين من أبناء السّبيل، فمن أجل هذا قد فرض الإسلام على المسلمين جميعًا القيام بهذا الواجب إذا عرض لهم وطلع عليهم أبناء السّبيل [2].

بعد هذا الاستعراض لابن السّبيل نجد أن القرآن الكريم قد اهتم بان السّبيل وأعطاه حقوقه كاملة وحفظ له كرامته في هذا المكان الذي انقطع فيه عن أهله وماله بعد أن كان مكرمًا في أهله وبلده، فالإسلام يحفظ حق الإنسان أينما كان ويكفل له احتياجاته المادية والمعنوية حتّى يرجع سالمًا إلى أهله.

---

(1)انظر : "جامع البيان" – للطبري (350/14).

(2)انظر : "تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" – لابن باديس (80/1).

المطلب الثّاني: سبيل الأرض.

يعدُّ سبيل الأرض من السّبل الدالة على قدرة الله على خلق الجمادات والتي فيها منفعة لبني آدم حيث سخرها الله لتدل دلالة واضحة على قدرة الله وعظمته، ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(النحل:15).

في هذه الآية الكريمة يذكر -ﷻ- النّاس بنعمه عليهم، ومن هذه النّعم أنّه ألقى في الأرض الرواسي الشّامخات والجبال الرّاسيات لتقرّ الأرض ولا تميد ولا تضطرب بما عليها من الحيوان، فلا يهنأ لهم عيش بسبب ذلك، فالله جلّ ثناؤه أرسى الأرض بالجبال لئلا يميد خلقه الذّين على ظهرها، بل وقد كانت الأرض كالمائدة قبل أن ترسى بها الجبال[1].

وجعل سبحانه في الأرض أنهارًا تجري من مكان إلى مكان آخر رزقًا للعباد، ينبع في موضع وهو رزق لأهل موضع آخر، فيقطع البقاع والبراري والغفار والقفار ويخترق الجبال والآكام، فيصل إلى البلد الذي سخر لأهله، وهي سائرة في الأرض يمنة ويسرة وجنوبًا وشمالًا وشرقًا وغربًا، ما بين صغار وكبار، وأودية تجري حينًا وتنقطع في وقت، وما بين نبع وجمع وقويّ السير وبطيئه بحسب ما أراد الله وقدر وسخّر ويسّر، فلا إله إلا هو ولا ربّ سواه [2].

وكذلك جعل فيها طرقًا يسلك فيها من بلاد إلى بلاد حتّى أنّه تعالى ليقطع الجبل حتّى يكون ما بينهما ممرًا ومسلكًا، كما قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾(الأنبياء:31)، فالله -ﷻ- جعل لكم أيّها الناس في الأرض سبلًا وفجاجًا تسلكونها وتسيّرون فيها في حوائجكم، وطلب معايشكم رحمة بكم، ونعمة منه بذلك عليكم، ولو عمّاها عليكم لهلكتم ضلالًا وحيرة،فجعله سبحانه لكم هذه السّبل لكي تهتدوا بها فتقصدوا بها الأماكن والمواضع التّي تريدون فلا تضلوا وتتحيروا[3].

---

(1)انظر : "الهداية إلى بلوغ النّهاية" – لمكي بن أبي طالب (3964/6).

(2)انظر : "جامع البيان"– للطبري (182/17–183).

(3)انظر: "تفسير القرآن العظيم" – لابن كثير (564/4–565).

ومن الآيات الدالة على عظيم قدرة الله على تمهيد هذه السّبل قوله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴾ (طه:53).

هذه الآية من تمام كلام موسى –عليه السلام– فيما وصف به ربّه –عز وجل– حين سأله فرعون عنه فقال: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾(طه:50)، ثم اعترض الكلام بين ذلك فقال تعالى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾، فموسى –عليه السلام– يذكر من قدرة الله تعالى ما يتصل بفرعون وأرض مصر فأرض مصر منبسطة وهي واد بين جبلين وعيشها ميسور سهل وهي أرض زراعية يجري نيلها مبسوطًا في ديارها من جنوبها إلى شمالها ممهدة ليست وعرة، فالله –سبحانه وتعالى– جعل لكم الأرض فراشًا لكي تستقروا عليها وتقوموا وتناموا عليها وتسافروا على ظهرها، وأدخل فيها لأجلكم طرقًا وسهلها لكم لتسلكوها وتمشوا في مناكبها، وجعلها لكم ممهدة لينة سهلة وليست وعرة متعثّرة بالأحجار، فهي لأهلها الذّين يعيشون فكهين في نعيمها كما يعيش الطفل في مهده، وهذا كناية عن الراحة والاستقرار [1].

ثم يبين –سبحانه وتعالى– تسهيل الانتقال فيها من مكان إلى آخر في عيشة راضية وأنشأ لكم فيها طرقًا مختلفة مسلوكة، وإن مصر كذلك مبسوطة الأرض فيها الطّرق والوديان حتّى الصحراء يوجد فيها وسط كثبان الرمال المسالك الصحراوية والواحات التّي تعد كالجنات في وسط الصحاري المجدبة[2].

ومن الآيات التّي تدل على خلق الله –سبحانه وتعالى– للسبل الواسعة الفسيحة في أرضه قوله تعالى: ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ (نوح:20).

هذا من كلام نوح –عليه السلام– وهو يدعو قومه ويذكّرهم بنعم الله عليهم حيث يقول لهم: إنَّ الله خلق الأرض لكم أيّها الناس لتستقرّوا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها وأرجائها وأقطارها ولتتقلبوا عليها كما يتقلب الرجل على بساطه، ومن نعمه عليكم أن أوجد لكم هذه الطّرق الواسعة بين الجبال والوديان والسهول، فهي طرق واسعة مختلفة غير ضيقة حتّى يسهل عليكم السفر عبرها[3].

---

(1)انظر : "الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية" – للشيخ علوان (514/1).

(2)انظر : "لباب التأويل في معاني التنزيل"– للخازن (306/3).

(3)انظر : "الكشاف"– للزمخشري (619/4) .

فبعد استعراض هذه الآيات الكريمة نجد أن الله –ﷻ– قد خلق الأرض والجبال، وكل ما على وجه هذه الأرض يعدُّ منفعة لهذا الإنسان الذي كرمه الله على كثير من مخلوقاته ويسّر له سبل حياته، فسبيل الأرض هو إحدى هذه الطّرق التّي خلقها الله وسخرها للإنسان، فعلى الإنسان أن يحفظ نعمة الله عليه ويشكره عليها وأن لا يعصيه وأن يطيعه على الدوام.

المطلب الثّالث: سبيل الحوت.

يعدُّ سبيل الحوت من السّبل الدالّة على عظيم قدرة الله وهو آية من آياته، وقد وضع الله لكل شيء سبيلًا سواءً كان في البر أو في البحر، وهنا سنستعرض آية من عجائب قدرة الله في ضربه سبيلًا لكائن عظيم يكون آية ودليلًا ألا وهو الحوت، يقول الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا** ﴾(الكهف:61).

يتضح من خلال السياق الذي وردت فيه هذه الآية الكريمة أن الله –ﷻ– يذكر قصّة موسى –عليه السلام– حين قال لفتاه يوشع بن نون –عليه السلام– : لا أزال سائرًا حتّى أصل إلى المكان الذي فيه مجمع البحرين ولو سرت دهرا من الزمن، ومجمع البحرين هو ملتقى البحر الأحمر بالمحيط الهندي عند باب المندب وهو بحر فارس والروم. فلمّا وصل موسى –عليه السلام– وفتاه مجمع البحرين وهو مكان اللّقاء بالعبد الصالح وهو الخضر –عليه السلام–، وقد أمر الله –ﷻ– موسى –عليه السلام– أن يحمل معه حوتًا مملوحًا، وقيل له: متى فقدت الحوت فهناك ستلقى الخضر –عليه السلام–. وعند وصولهما إلى هناك ناما، وهناك عاد الحوت حيًا وسقط في البحر فاستيقظ يوشع –عليه السلام– ورآه وهو يسقط في البحر، وجعل الحوت يسير في الماء والماء له مثل الطاق أو النفق لا يلتئم بعده أي مثل السّرب في الأرض، وهذه آية وعلامة لموسى –عليه السلام–، فاتّخاذ الحوت سبيله في البحر سربًا كان آية من آيات الله لموسى يعرف بها موعده بدليل عجب فتاه من اتخاذه في البحر طريقًا كالنفق في الجبل. وبغلب النوم على يوشع بن نون – عليه السلام– فينام، فلما استراحا قاما مواصلين سيرهما ونسي الفتى وذهب من نفسه خروج الحوت من الوعاء ودخوله في البحر لغلبة النوم، ولما تجاوز موسى وفتاه يوشع عليهما السّلام مجمع البحرين حيث نسيا الحوت فيه وسارا بقية اليوم والليلة، وفي ضحوة الغد أحس موسى بالجوع طلب من فتاه أن يأتيه بطعام الغداء لما لاقوه من عناء السفر، وهنا يتذكر يوشع ما حصل مع الحوت فيخبر موسى الخبر بأن قال له أرأيت إذ لجأنا إلى الصخرة عند مجمع البحرين فإني نسيت أن أخبرك بما حدث من قصة

الحوت، فإنه اضطرب وعاد حيًا وسقط في البحر، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿62﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿63﴾﴾ (الكهف:62-63) [1].

ويذكر -ﷻ- اعتذار فتى موسى على نسيانه أن يذكر ما حدث للحوت وما أنساه ذكر ذلك إلا الشيطان، ونرى تعجب الفتى من اتخاذ الحوت مسلكه في البحر بهذه الطريقة العجيبة[2].

ويذكر أبو زهرة: " إن النسيان هنا بمعنى الترك والذهول، وما كان يحسب أنّه سيتخذ طريقه إلى البحر بهذه الأعجوبة، وما كان يحسب أنّه سيفعل ذلك إذ كان في مكتل أي وعاء فخرج منه وأخذ طريقه إلى البحر "[3].

فسبيل الحوت في البحر آية من آيات الله تظهر قدرة الله على الخلق والبعث، فالله -ﷻ- قادر على إحياء المخلوقات حتّى بعد موتها وبعد أن تصبح عظامها رمادًا ويذهب مع الريح، فله سبحانه الخلق والبعث والقدرة، وليس له فيها منازع.

(1)انظر : "ارشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم" – لأبي السعود (232/5)، "الوسيط" – للزحيلي (1442/2).
(2)انظر : "جامع البيان"– للطبري (60/18)،"تفسير القرآن العظيم" – لابن كثير (174/5)،.
(3)"زهرة التفاسير" (4556/9) .